

السفر للسياحة وأهميته في نشر الدعوة إلى الله تعالى

اسم الباحث
فهد عامر العجمي
الأستاذ المشارك بكلية التربية الأساسية
قسم الدراسات الإسلامية
بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت
fahd@ hotmail.com

ملخص

السفر للسياحة وأهميته في نشر الدعوة إلى الله تعالى

فهد عامر العجمي

الأستاذ المشارك بكلية التربية الأساسية قسم الدراسات الإسلامية بالهيئة العامة
للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت

fahd@hotmail.com

تعتبر السياحة في نظر الإسلام بأنها التنقل من مكان إلى مكان بهدف التدبر والتأمل في خلق الله أو التعارف بين الناس، أو طلب العلم المحمود، أو الدعوة إلى الله، أو الجهاد في سبيل الله، أو الترويح عن النفس، أو أداء الفرائض والواجبات الدينية وما في حكم ذلك ويحكم ذلك كله أحكام وقواعد الشريعة الإسلامية حتى تكون صالحة ونافعة.

وكان الفقهاء يسيحون من مكان إلى آخر لطلب العلم، وكان الدعاة يجوبون الأرض لنشر دعوة الإسلام، وكان المجاهدون يتركون ديارهم وأموالهم وأهليهم من أجل جعل كلمة الله هي العليا، كما كان التجار المسلمون ينتقلون من دولة إلى دولة للتجارة وللدعوة وهكذا، وهذه جميعها نماذج من أشكال السياحة في الإسلام.

وبناء على ما سبق كان سبب اختياري لهذا الموضوع وهو دور السياحة في نشر الدعوة الإسلامية وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

كلمات مفتاحيه: السياحة - السفر - الصيام - نشر الدعوة الإسلامية - الآثار

السلبية

Summary

Fahd Amer Al-Ajmi

**Associate Professor, College of Basic Education,
Department of Islamic Studies, Public Authority for
Applied Education and Training, Kuwait**

Fahd Amer Al-Ajmi

fahd@ hotmail.com

In the eyes of Islam, tourism is considered to be moving from place to place with the aim of planning and contemplating the creation of God, acquaintance between people, seeking praise knowledge, calling to God, striving for the sake of God, recreation, or performing religious duties and duties, etc. The ruling on that and all of this is governed by the provisions and rules of Islamic Sharia to be valid and beneficial.

The jurists were going from one place to another to seek knowledge, and the preachers roamed the land to spread the call of Islam, and the Mujahideen left their homes and their money and their people in order to make the word of God the supreme, as the Muslim merchants were moving from one state to another to trade and to call and so on, and these are all examples of forms Tourism in Islam.

Based on the foregoing, an optional reason for this topic was the role of tourism in spreading the Islamic call, and my success is only by God, I trust in Him and to Him a sin.

Key words: tourism - travel - fasting - spreading the Islamic call - negative effects

المقدمة

تعتبر السياحة في نظر الإسلام بأنها التنقل من مكان إلى مكان بهدف التدبر والتأمل في خلق الله أو التعارف بين الناس، أو طلب العلم المحمود، أو الدعوة إلى الله، أو الجهاد في سبيل الله، أو الترويح عن النفس، أو أداء الفرائض والواجبات الدينية وما في حكم ذلك ويحكم ذلك كله أحكام وقواعد الشريعة الإسلامية حتى تكون صالحة ونافعة.

ولقد حث القرآن الكريم على السياحة بالمفهوم السابق في العديد من الآيات، منها قوله تبارك وتعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)^(١)، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(٢)، كما يعتبر السفر إلى الأراضي المقدسة للعمر والحج سياحة دينية وللتعارف بين الناس وتحقيق العديد من المنافع المشروعة وفي هذا الخصوص يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا ثلاث مساجد مسجدي هذا والمسجد الأقصى والمسجد الحرام»^(٣)، ففي هذا الحديث حث على السياحة الدينية.

وكان الفقهاء يسيحون من مكان إلى آخر لطلب العلم، وكان الدعاة يجوبون الأرض لنشر دعوة الإسلام، وكان المجاهدون يتركون ديارهم وأموالهم وأهليهم من أجل جعل كلمة الله هي العليا، كما كان التجار المسلمون ينتقلون من دولة إلى دولة للتجارة وللدعوة وهكذا، وهذه جميعها نماذج من أشكال السياحة في الإسلام.

وبناء على ما سبق كان سبب اختياري لهذا الموضوع وهو دور السياحة في نشر الدعوة الإسلامية وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

(١) سورة الروم الآية: ٩.

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٣.

(٣) رواه البخاري.

الفصل الأول

مفهوم السفر لغة واصطلاحاً

أولاً: السفر لغة:

السفر: قطع المسافة؛ سمي بذلك؛ لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، ومنه قولهم: سفرت المرأة عن وجهها: إذا أظهرته^(١)، والسفر هو الخروج عن عمارة موطن الإقامة قاصداً مكاناً يبعد مسافة يصح فيها قصر الصلاة^(٢).

ثانياً: السفر اصطلاحاً

السفر في اصطلاح الفقهاء: يطلق على الخروج من الوطن على قصد مسيرة معينة زماناً أو مسافة^(٣) - والمراد بالوطن، المكان الذي اتخذهُ الإنسان داراً، وتوطن به مع أهله، قاصداً التعيين فيه وعدم الارتحال فيه.

تقسيم السفر باعتبار القصد

ونعني بالقصد هنا: الأمر الباعث على السفر، والهدف الذي من أجله أنشأ المسافر سفره.

والسفر بهذا الاعتبار، يمكن أن يوصف شرعاً بأحد أنواع الحكم التكليفي: من وجوب، أو ندب أو إباحة، أو كراهة، أو تحريم، تبعاً لمقاصد المسافرين، من أمور واجبة الفعل أو الترك أو مخير فيها بين الفعل والترك إلى آخره.

- فقد يكون السفر واجباً: إذا كان الباعث عليه أمراً مطلوب الفعل من الشارع على وجه الحتم، كالحج عند توفر أسبابه وشروطه، وانتفاء ما يمنع منه^(٤).

- وقد يكون السفر مندوباً إليه: إذا دعي إليه أمر من الأمور التي طلب الشارع فعلها طلباً غير جازم، كالسفر لزيارة الأقارب وصلة الرحم إن كان الإنسان قادراً على السفر واجداً المؤنة، وكالسفر لزيارة أحد المساجد التي شرع شد الرحال إليها شرعاً.

- وقد يكون السفر مباحاً: إذا قصد المسافر أمراً خيراً فيه الشارع العباد بين الفعل والترك. كالسفر للتجارة في الأشياء غير المحرمة^(٥)، إذا لم يكن الهدف من التجارة

(١) لسان العرب لابن منظور، باب الرء، فصل السين، (٣٦٨/٤)، وقيل: السفر لغة: قطع المسافة، وشرعاً: هو الخروج على قصد مسيرة ثلاثة أيام ولياليها فما فوقها بسير الإبل ومشى الأقدام. التعريفات للجرجاني، ص ١٥٧، وقال المسافر: هو من قصد سيراً وسطاً ثلاثة أيام ولياليها، وفارق بيوت بلده، التعريفات للجرجاني، ص ٢٦٦.

(٢) معجم لغة الفقهاء، للدكتور محمد رواس، ص ٢١٩.

(٣) البدائع (١٠١٧/٢).

(٤) المجموع (٢٢٧/٤).

(٥) المجموع (٣٢٧/١).

مجرد المكاثرة في المال فخراً أو علواً في الأرض بغير حق.

- وقد يكون السفر مكروهاً: إذا كان المسافر يبغي من وراء سفره الوصول إلى شيء، طلب الشارع ترك فعله طلباً غير باتٍ. أو يكون في السفر أمر يترجح فيه جانب الترك على جانب الفعل، كأن يكون مقصود المسافر من سفره غير معتد به شرعاً، كالسفر للتنزه وزيارة المشاهد، في وقت يكون فيه مثل هذا السفر صارفاً للإنسان عن التفرغ لطلب علم أو عبادة.

- وقد يكون السفر حراماً إذا كان القصد منه أمراً طلب الشارع ترك فعله طلباً جازماً كأن يسافر ليقطع طريقاً أو يقتل إنساناً، وما شابه هذا من الأمور المحظورة.

هذه أنواع السفر أو أهم أنواعه من حيث قصد المسافر فهل هذه الأنواع كلها سواء في مشروعية الرخص التي أباحها الله للمسافر؟
نوجز الإجابة عن هذا فيما يلي:

- أما السفر الواجب: فقد اتفقت كلمة الفقهاء على أنه من أسباب التخفيف الذي يسر الله به على المسافر^(١).

- وأما السفر المندوب والمباح، فقد ذهب الجمهور، ومنهم الأئمة الأربعة والظاهرية، إلى أنه مبيح لمشروعية الرخص؛ لأن النصوص أباحت التخفيف للمسافر في الأنواع الثلاثة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾^(٣).

وروى مسلم بسنده إلى حمزة بن عمر والأسلمي رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر، فهل علي جناح؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه^(٤).

وأخرج البيهقي بسنده إلى عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر في السفر ويصوم ويفطر^(٥).

والسفر في النصوص السابقة من القرآن والسنة مراد منه السفر الشرعي وهو يشمل الواجب والمندوب والمباح.

أما السفر المكروه^(١) - فذهب أكثر الفقهاء إلى أنه يبيح الترخيص.

(١) المغني (١٩٢/٢)، المجموع (٢٢٨/٤).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٥).

(٣) سورة النساء، الآية (١٠١).

(٤) سبل السلام (٣٢١/٢).

(٥) سبل السلام (٤٩/٢)، وسنن البيهقي (١٤١/٣).

وممن ذهب إلى هذا: الحنفية والمالكية، والشافعية، والظاهرية وبعض الحنابلة.
ومن الفقهاء من ذهب إلى أن مثل هذا السفر لا يباح معه الترخص، وهذا هو
الراجح من مذهب الحنابلة.

تعريف السياحة ومدلولها في القرآن والسنة

أولاً: تعريف السياحة في اللغة:

بالرجوع إلى مادة «س ي ح» يجد الباحث أنها تحتوي على معنى واحد، هو مطلق
الذهاب في الأرض، وما ورد بمعنى الصائم، أو الذهاب في الأرض للعبادة والترهب أو
غيرها، فإنها معان اصطلاحية مقيدة أو شرعية، فأطلاق لفظ السائح على الصائم هو معنى
شرعي نتيجة الآثار الواردة في ذلك، وهو معنى فيه استعارة؛ لأن الصائم شابه السائح في
الامتناع عن الملذات والشهوات، فأطلق عليه لفظ السائح لذلك^(٢).

في معجم مقاييس اللغة: السين والياء والحاء، أصل صحيح يدل على استمرار
شيء، يقال / ساح في الأرض، قال الله (جل ثناؤه): «فسيحوا في الأرض أربعة أشهر»^(٣).
والسيح: الماء الظاهر الجاري، والسيح: العبادة المخططة، وسمي بذلك تشبيها لخطوطها
بالشيء الجاري. والمساييح: هم الذين يسبحون في الأرض بالنعيم والشر والإفساد بين
الناس. اهـ.

ثانياً: تعريف السياحة في الاصطلاح

تعددت التعريفات عند المشتغلين بدراسة ظاهرة السياحة تبعا لتعدد اهتماماتهم، فقد
«خلصت بعض الدراسات إلى ثمانين تعريفا مختلفا للسياحة، وثلاثة وأربعين تعريفا
لمصطلح السائح والزائر»^(٤). فيعرفها شرانتهوفن بقوله: (إنها التفاعلات - أي الأنشطة -
الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة الناتجة عن وصول زوار إلى إقليم أو دولة بعيدا عن
موطنهم الأصلي، والتي توفر الخدمات التي يحتاجون إليها وتشبع حاجياتهم المختلفة طوال
فترة إقامتهم».

(١) بداية المجتهد (١/١٧٣)، ونهاية المحتاج (٢/٢)، والإنصاف (٢/٣١٧)، والمحلى (٦/٣٦٤)، المغني (١٩٤).

(٢) قلت: السائح في زماننا هذا لا يمتنع عن الملذات، ل يتناول ما لذ وطاب في الأعم الغالب، وامتناع
السائح عن الملذات والشهوات المباحة، يظهر أنه كان قبل الإسلام، وجاء الإسلام بمخالفته، وقام غلاة
الصوفية بالتشبه بهم وساروا في البرية يتعبون أنفسهم، لا لهدف ولا غرض مشروع، وهي ليست من
الإسلام في شيء، كما قال الإمام أمد (رحمه الله تعالى)، ومن أراد التوسع في ذلك فلينظر كتاب
«تلبس إبليس» لابن الجوزي إن شاء الله.

(٣) سورة التوبة الآية: ٢.

(٤) السياحة والتنمية في العالم الثالث: نقلًا عن السياحة الأسس والمفاهيم دراسة تطبيقية على منطقة
عسير د. محمد بن مفرح بن شبلي القحطاني وصاحبيه، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، ط. مؤسسة المدينة
للصحافة (دار العلم) بجدة.

وهذا التعريف واضح فيه الاعتناء بالجانب الاقتصادي، وهذا المعنى يخص الدول والحكومات المعنية بهذا الجانب. وبعضها يعني بالسياحة الدولية دون الداخلية (١).

ثالثًا: مدلول السياحة في القرآن الكريم:

ولقد وردت في القرآن الكريم كلمة سياحة مرات عديدة باعتبارها نشاط إنساني له أهداف كثيرة ومما يدل على ذلك قوله تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ) (٢).

ولقد وردت في تفسير هذه الآية أن السائحين تختلف الروايات فيهم فمنها ما يقول إنهم المهاجرون المجاهدون أو المتنقلون في طلب العلم ومنهم من يقول إنهم الصائمون (٣).

ومن الآيات أيا قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (٤).

لقد ورد في تفسير هذه الآية «أن الخطاب واضح من الله سبحانه وتعالى إلى البشرية بمعنى: يا أيها الناس» يا أيها المختلفون أجناسا وألوانا، المتفرقون شعوبا وقبائل، إنكم من أصل واحد فلا تختلفوا، ولا تتفرقوا، ولا تتخاصموا، يا أيها الناس والذي يناديكم في هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى وهو يطالعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل.. أنها ليست التنافر والخصام... إنما هو التعارف والوثاق (٥).

ويمكن القول إنه من هذا التفسير إنها عالمية الإسلام التي شملت الأرض كلها، والتي تدعو إلى رفع الحواجز بين الدول فيما بينهما وبين الشعوب، وها هو المعروف الآن بكلمة العولمة والكوكبية، لم يكن الإسلام سباق في هذا الهدف، إنها دعوة للأخوة الإنسانية والمحبة في الله من أجل عبادة الله إعمار الأرض ويمكن القول أيضا أن السياحة والسفر هما أد الطرق والوسائل الفعالة لتحقيق هذا الغرض من الآية السابقة.. فالتنقل من مكان إلى آخر سيساعد على التعارف ونقل المعرفة والعلوم من بلد إلى آخر والتدبر في آيات الله عز وجل لا أدنى تفرقة بين سائر البشر الكل من آدم.. وأدم من تراب، فالكل يعيش تحت سماء واحدة فلا بد من التعاون والتقارب من أجل إعلاء كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» في إرجاء الكون، ومن ثم فإن أحد الطرق الرئيسية لتحقيق هذا الهدف يكون هو السياحة والتنقل في أرض الله الواسعة لنشر الدين الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة والسلوك القويم.

(١) صناعة السياحة: أ. دج. محمد خميس الزوكة، ١٩٧ م (ص ٣٩)، دار المعرفة الجامعية.

(٢) سورة التوبة.. آية ١١٢.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن دار الشروق عام ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م - ص ١٧١٩.

(٤) سورة الحجرات - آية ١٣.

(٥) سيد قطب، مرجع سابق ص ٣٤٤٨، الجزء السادس؛ وأيضا د. مصطفى الفقي «الإسلام في متغير». الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣ ص ٧٣.

لقد نجح التاجر المسلم الصدوق في نشر الإسلام في بقاع الأرض من مشارقها إلى مغاربها حتى إنه انتشر في الصين والشرق الأقصى حتى الأندلس في المغرب العربي ولم يكن هناك غزواً واستخدام سلاح أو إرهاب أو إجبار الغير على الدخول في الإسلام... الكل دخل الإسلام طواعية وليس إكراها من خلال سلوك التاجر معهم.

ولقد ورد في القرآن الكريم أيضاً من الآيات القرآنية التي تحث على التنقل والتدبر في آيات الله أو سعيها على الرزق ومن هذه الآيات ما ورد في سورة الكهف والتي تقص عدد من القصص منها «أصحاب الكهف» وقصة «موسى عليه السلام» مع العبد الصالح وقصة «ذي القرنين ورحلاته».

فأما عن أصحاب الكهف قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)^(١).

ولقد ورد في تفسير هذا الآية: «إنهم فتية تبين لهم الهوى في وسط ظالم كافر فاضطروا إلى الفرار بدينهم وهو نوع من أنواع السفر وهو - السفر لمهرب - مثل الهروب بالدين في حالة انتشار الفساد في الأرض. (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَاتِهِ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا)^(٢).

والآية الأخرى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)^(٣).

ويخلص تفسير هذا الآية: أن انتقال «موسى عليه السلام» إلى هذه الرحلة هو نوع من أنواع السياحة التي تهدف إلى المعرفة والتعليم والتدبر في آيات الله وفي خلقه.

أما القصة الثالثة قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا)^(٤).

وقصة ذي القرنين، ورحلاته الثلاث إلى الشرق وإلى الغرب وإلى الوسط في رحلات ذي القرنين هي نوع من أنواع السياحة والتي يطلق عليها سياحة الاستكشاف والمغامرات بهدف البحث عن أماكن أخرى في الأرض بغرض إعمارها وهو دور الإنسان في الخلافة إلى هو عمارة الأرض.

ومن الأدلة أيضاً قول الله تعالى: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْكَنَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَاتِنَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا)^(٥).

(١) سورة الكهف - آية ٩.

(٢) سورة الكهف - آية ٦٢.

(٣) سورة الكهف - آية ٦٥.

(٤) سورة الكهف - آية ٨٣.

(٥) سورة التحريم: آية ٥.

ولقد ورد في تفسير هذه الآية بالنسبة لكلمة سائحات:

إن السياحة هي التأمل والتفكر في إبداع الله، والسياحة بالقلب في ملكوته (١).

ويمكن القول إن هذا الوصف إن دل فإنما يدل على نوع من أنواع السياحة وهو سياحة التأمل، فالسائح يقطع مسافات ومسافات، لكي يرى ويتدبر ويفكر فيما أبدعه الله من بحار ومحيطات وأنهار وشلالات والطيور المهاجرة من دولة إلى أخرى والأسماك المختلفة في قاع البحار يتدبر آيات الله في عالم الحيوان والنبات يتدبر آيات الله في خلق الأبيض والأسود والأسمر والأصفر بها دول لها صفة من صفات وتتفرد بنوع من أنواع السياحة يختلف عن غيرها هذا بعض من عوامل الجذب السياحي في سياحة التأمل (٢).

ومن الآيات الدالة أيضا قال تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (٣).

ولقد ورد في تفسير هذه الآيات:

وهي دعوة عامة إلى التأمل في مصائر الغاربيين، وهم ناس من الناس، وخلق من خلق الله تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر خلفاتهم الآتية، فسنة الله هي سنة الله في الجميع.

وبعد فالآيات القرآنية التي تدعو إلى التنقل من مكان إلى آخر (السياحة) كثيرة في آيات المقام لا يسعي لسرد كل الآيات سواء كان من أجل التعارف، العلم - التدبر في آيات الله - الاستمتاع بنعم الله وخيراته في الأرض.

رابعاً: مدلول السياحة في السنة النبوية المشرفة:

ولقد وردت أحاديث عديدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت على السياحة بأنواعها المختلفة فعلى سبيل المثال حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على الدعوة للسياحة الرياضية حيث نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم «كل شيء ليس من ذكر الله في لهو أو سهو إلا أربع خصال: شيء الرجل بين الفرضين (الرمي)، تأديبه فرسه، ملاعبته أصله وتعليمه السباحة» (٤).

(١) الشيخ / محمد متولي الشعراوي «القصص القرآني في سورة الكهف» مؤسسة أخبار اليم سنة ١٩٩٠ - ص ٦٤.

(٢) سيد قطب، مرجع سابق ص ٢٦١٦.

(٣) سورة الروم - آية ٩.

(٤) الطبراني بإسناد جيد، د. يوسف القرضاوي «الحلال والحرام في الإسلام، دار القرآن الكريم للطلبان سنة ١٧٩هـ.

وقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر على نفر من أسلم ينتقلوا بالسوق (يتدربون على الرمي) فقال صلى الله عليه وسلم ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا، ارموا وأنا مع بني فلان، فأمسك أحد الفريقين على الرمي قال صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون؟ فقالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم^(١).

وقد سمع الرسول صلى الله عليه وسلم بسياحة المهرجانات والاستعراضات التي تنشر هذه الأيام ولكن في إطار التوازن والأخلاق الحميدة، حيث أذن الرسول صلى الله عليه وسلم للحبشة أن يلجوا بحرابهم في مسجده الشريف. وأذن لزوجته عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم وبينما هم يلعبون دخل عمر رضي الله عنه فأمر إلى الحصباء فحصبهم، فقال صلى الله عليه وسلم دعهم يا عمر^(٢).

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على المسابقات والمباريات حيث ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت سبقتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسابقته حتى إذا أرهقتي اللحم أي سمت فسبقتي فقال: هذه بتلك^(٣).

ولقد وود قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه قال «علموا أولادكم السباحة والرماية ومددهم تلبثوا على ظهور الخيل»^(٤).

ولما كانت السياحة في الإسلام تشمل أنواعا عديدة ومختلفة، فإن هناك تكاملا بين السياحة الإسلامية وتطابقا مع ركن عظيم من أركانه وهو الحج.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس منها «الحج».

وفي هذا الحديث نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث ويجعل الانتقال بغرض الحج فرض على كل مسلم لمن استطاع إليه سبيلا والحج نوع من أنواع السياحة الدينية.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا»^(٥).

وتعرف السياحة بأنها التجول في الأرض^(٦).

(١) رياض الصابرين، الإمام النووي. دار أخبار الكتب العربية ص ٤٨٨.

(٢) رواه الشيخان، كتاب اللؤلؤ والمرجان، د. محمد عبد الباقي.

(٣) رواه أحمد وأبو داود عن عائشة.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رياض الصالحين ص ٤٧٢.

(٦) سنن الترمذي - كتاب الدعوات رقم ٣٥٢٤.

والسياحة هي جهاد حيث وردت أحاديث عديدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحث على السياحة عن أبي أمامه رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله أتأذن لي في السياحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن السياحة متى كانت في سبيل الله^(١) ومفهوم الجهاد يشمل كافة نواحي الحياة حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسدي هذا والمسجد الأقصى والمسجد الحرام»^(٢).

كما أن السياحة في الإسلام ليست مرتبطة بالاستمتاع فقط، ولكنها يمكن أن تتم في مشقة وعناء وتعب من أجل هدف أسمى وأرقى وهو طلب المعرفة والعلم.

وتذكر أن الخيل إبراهيم قد هاجر إلى بلاد الشام لما دخل الديار المصرية واستقر بالأرض المقدسة^(٣).

كما أن لوطا عليه السلام نزع بما له من الأموال الجزيلة إلى أراضي النحور، والمعروف بنحور زعتر، فنزل بمدينة سدوم، هي لم تلك البلاد في ذلك الزمان.

(١) رواه أبو داود بإسناد جيد، رياض الصالحين ص ٤٩٠ .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير - دار الباز للنشر والتوزيع - بدون سنة ص ١٣٠ .

الفصل الثاني

مفهوم السياحة في الإسلام

إن السياحة في الإسلام لها معان متعددة منها:

أولاً: السياحة بمعنى الجهاد:

إن الإسلام غير كثيرًا من المفاهيم عند عامة الناس، وربط هذه المفاهيم بمعالي الأمور، ومكارم القيم والأخلاق، فالسياحة عند السابقين عرفت بأنها مجرد السير في الأرض وإتباع الأبدان في ذلك دون جدوى واضحة وحقيقية.

أخرج ابن جرير في تفسيره بإسناده من طريق ابن عيينة، عن وهب بن منبه: «أن السياحة كانت في بني إسرائيل وكان الرجل إذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون قبله، فساح ولد بغي أربعين سنة فلم ير شيئاً، فقال: أي رب أرأيت إن أساء أبواي وأحسنت أنا؟ قال: فأرى ما أرى السائحون قبله» (١). ١ هـ.

الله أعلم بما كان يرى السائحون على عهد بني إسرائيل، فظاهر النص يفيد أن السياحة بالمعنى المتقدم، كانت مشروعة عندهم، لكن لا دليل على صحة هذا المعنى من كتاب ولا سنة، ويؤيد هذا ما رواه ابن هانئ عن أحمد ابن حنبل، أنه سئل عن الرجل يسبح يتعبد أحب إليك، أو المقيم في الأمصار؟ قال: «ما السياحة من الإسلام في شيء، ولا من فعل النبيين ولا الصالحين» (٢) ١ هـ، فلو لم يعلم الإمام أحمد أنها كذلك، لما تجرأ (رحمه الله) على الجزم بهذا القول، وهو بالمنزلة المعروفة من الورع والتقوى.

ولما جاء الإسلام ارتقى بمفهوم السياحة عما كان سائداً، فعرفت بأنها الجهاد في سبيل الله، وشتان بين المفهوم القديم، والمفهوم الإسلامي الجديد، جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذن في السياحة فقال له: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى» (٣).

وكان هذا السائل جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم، أن يذهب في الأرض سائحاً، كما كان معروفاً قبل الإسلام من السير في الأرض، وإتباع البدن فيما لا فائدة حقيقية من ورانه، ومفارقة المألوفات والمباحات والملذات، فردّه كما رد على عثمان بن مظعون التبتل (٤).

(١) تفسير ابن جرير (٣٩ / ١١).

(٢) ينظر: تلبس إبليس (ص: ٣٤)، واقتضاء الصراط المستقيم تحقيق العقل (١ / ٢٨٧).

(٣) أبو داود (٢٤٨٦)، كتاب الجهاد، باب في النهي عن السياحة (٥/٣)، وصححه الحاكم (٨٣/٢)، برقم (٢٣٩٨) وأقره الذهبي في التلخيص، كلهم من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة، وقال النووي في رياض الصالحين: رواه أبو داود بإسناد جيد.

(٤) ينظر: عون المعبود (٧ / ١٦٤).

عن سعد بن أبي وقاص قال: «رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»^(١).

وروى ابن المارك عن ابن لهيعة^(٢)، أخبرني عمارة بن خزيمة أن السياحة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله، والتكبير على كل شرف»^(٣).

وما تبوأت السياحة في مفهوم الإسلام هذه المكانة الرفيعة، إلا لعظم مكانة الجهاد في الإسلام، ولا أدل على ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «لا تستطيعوه»^(٤)، قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه»، قال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى»^(٥).

(١) أخرجه البخاري: (٣٥٦/٣)، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء رقم: (٥٠٧٤، ٥٠٧٣) ومسلم: ١٠٢٠ / ٢ كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت إليه نفسه... برقم: (١٤٠٢) عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان من أمر عثمان بن أومر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟ قال: لا يا رسول الله، قال: «إن من سنتي أن أقوم وأنام، وأصوم وأطعم، وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني، يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً، ولعينك عليك حقاً». قال سعد: فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين، على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو + عثمان على ما هو عليه أن نختصي فتبتل».

(٢) قال ابن القيم: وحديث ابن لهيعة يحتج منه بما روي عنه العبادلة كعبد الله بن وهب وبعد الله بن المبارك، وعبد الله بن يزيد المقرئ، قال ابن زرعة: ابن لهيعة كمانا ابن المارك وابن وهب يتبعان أصوله، وقال عمر بن علي: من كتب + قبل احتراق كتبه مثل ابن المبارك وابن المقرئ أصح ممن كتب بعد احتراقها، قال ابن وهب: وكان ابن لهيعة صادقاً. اهـ (إعلام الموقعين ٢ / ٤٠٧).

(٣) كتاب الجهاد (ص ٢١) برقم (١٧) مرسل يشهد له حديث أبي داود: «سياحة أمتي الجهاد». الشرف: المكان العالي (تاج العروس ١٢ / ٢٩٦).

(٤) قال النووي: هكذا هو في معظم النسخ «لا تستطيعوه»، وفي بعضها «لا تستطيعونه» بالنون، وهذا جار على اللغة المشهورة والأول صحيح أيضاً وهو لغة فصيحة، حذف النون من غير ناصب ولا جازم. (شرح مسلم ١٣ / ١٨).

(٥) أخرجه مسلم: ١٤٩٨ / ٣ كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله برقم: (١٨٧٨) واللفظ له، وفي رواية البخاري ٣٠٢ / ٢ كتاب الجهاد والسير «باب فضل الجهاد والسير برقم: (٢٧٨٥) وفيه: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: «لا أجد»، قال: «هل نستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟». فقال: ومن يستطيع ذلك قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات.

وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في غزوة تبوك: «إن شئت أنبأتك برأس الأمر، وعموده وذروة سنامه»، قلت: أجل يا رسول الله، قال: «أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد»^(١).

قال تعالى: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)^(٢).

والجهاد في سبيل الله تعالى ليس سياحة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فقط بل هو رهبانيتها أيضا. روى الطبراني في الكبير بإسناده عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لكل أمة سياحة، وسياحة أمي الجهاد في سبيل الله، وإن لكل أمة رهبانية، ورهبانية أمي الرباط في نحور العدو»^(٣).

ثانيا: السياحة بمعنى الصيام

إن في الصيام تعويدا للنفس على الصبر والاحتساب وترك الشهوات، وفي ذلك توطئة لها على تحمل مشاق الحياة ومتاعبها، فقد خلق الله الإنسان في كبد، ولا يزال كذلك حتى يلقي الله عز وجل، قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ)^(٤).

فإن كبح جماح نفسه وعودها على ترك الشهوات من غير رهينة، لانته نفسه وانقادت له، ومن سهل عليه إلزام نفسه بالصوم، سهل عليه إلزامها بالجهاد، الذي هو ذروة سنام الإسلام ورهبانيته، ومن باب أولى بقية تكاليف الإسلام. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حجبت النار بالشهوات،

(١) مسند الطيالسي: (٧٦ / ٢) أحاديث معاذ بن جبل برقم: (٥٦٠) ورواه الحاكم: (٤٤٧ / ٢) واللفظ له، في كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة برقم: (٣٥٤٨)، وقال صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي في التلخيص بحاشية الكتاب، ورواه عبد الرزاق في مصنفه: (١١ / ١٩٤) برقم: (٢٠٣٠٣)، ورواه أحمد: (٥ / ٢٩٣، ٣٠٠، ٣٠٩)، رقم: (٢٢٠١١، ٢٠٦٣، ٢٢١١٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة برقم: (٣٩٧٣)، والترمذي: (تحفة الأحوذى: ٣٠٣ / ٧)، في أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم: (٣٧٤٩)، والنسائي في الكبرى: (٤٢٨ / ٦)، والطبراني في الكبير: (٧٣ / ٢٠)، ١٠٣، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨) برقم: (٢٠) رقم: (١٣٧ / ٢٠٠ / ٢٩١ / ٣٩٤ / ٣٠٥ / ٣٠٤)، وقال محقق كتاب جامع العلوم والحكم شعيب الأرنؤوطك وصاحبه: الحديث بمجموع طرقه صحيح: (٢ / ١٣٤).

(٢) سورة النساء الآية: ٩٥ - ٩٦.

(٣) قال في مجمع الزوائد: (٥ / ٢٧٨)، رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف اهـ. قلت: لكن يشهد لصحة معنى شقه الأول حديث أبي داود المتقدم، ولشقه الآخر حديث ابن المبارك الآتي.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٤٢.

وحجبت الجنة بالمكاره»^(١).

والصوم الذي يعود على تحمل مشاق الجهاد، هو سبب رئيسي في دخول الجنة بعد رحمة الله تعالى، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: دلني على عمل أدخل به الجنة، قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له»، وعند أحمد: فما رني أبو أمامة. ولا امرأته ولا خادمة إلا صياما، قال: فكان إذا رئي في دارهم دخان بالنهار، قيل اعترهم ضيف

نزل بهم نازل^(٢).

فالمجاهدون الذين اشترى الله جل وعلا منهم أنفسهم، نعتهم بنعوت تسعة لها شأن عظيم، فقال جل ذكره: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)^(٣).

وتقدم في الكلام عن الجهاد أن السياحة فسرت بالجهاد في سبيل الله تعالى، غير أن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن قوله تعالى: {السائحون} أي الصائمون، ومنه قول تعالى: (عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ)^(٤).

وأخرج ابن جرير بإسناده عن زيد بن أسلم قال: السائحات المهاجرات^(٥).

وقال ابن القيم: وفسرت السياحة بالصيام، وفسرت بالسفر في طلب العلم، وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة، والتحقيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإجابة إليه والشوق إلى لقائه ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال، ولذلك وصف الله

(١) أخرجه أحمد: (٢/٣٤٣، ٥٠٠، ٤٩١، ٤٣٩) من حديث أبي هريرة رقم: (٧٥١٦، ٨٩١٩) مختصرا وبرقم: (٨٨٣٦، ٨٣٧٢) مطولا، وأخرجه أيضا في: (٣/١٩٣، ٣٢١، ٣٦٠) من حديث أنس رقم: (١٢٥٤٣، ١٣٦٥٦، ١٠١٤) مختصرا، وأخرجه البخاري: (٤/١٨٩) كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات عن أبي هريرة برقم: (٦٤٨٧) واللفظ له، وأخرجه مسلم: (٤/٢١٧٤) ط. دار الحديث في القاهرة، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها بلفظ حفت رقم (٢٨٢٢، ٢٨٢٣) من حديث أنس وأبي هريرة، قال النووي في شرحه لمسلم: (١٧/١٦٥): هكذا رواه مسلم «خفت» ووقع في البخاري «حفت» ووقع «حجبت»، وكلاهما صحيح. قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيتها صلى الله عليه وسلم من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجنة إلا بارتكاب المكاره والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هناك الحجاب وصل إلى المحجوب فهتك حجاب الجنة بافتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات. وأخرجه أبو داود: (٤/٢٣٦) كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار عن أبي هريرة مطولا برقم: (٤٧٤٤)، وأخرجه الترمذي: (٧/٢٣٦) أبواب صفة الجنة، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات من حديث أنس مختصرا برقم: (٢٦٨٤)، ومن حديث أبي هريرة مطولا برقم: (٢٦٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣١٣، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣١) برقم: (٢٢١٣٦، ٢٢١٤٥، ٢٢١٩١، ٢٢٢١٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣/١٨٢): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح، وأخرجه النسائي (بشرح السيوطي ٤/٤٧٤) كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصيام برقم: (٢٢١٩، ٢٢٢٢، ٢٢٢١، ٢٢٢٢).

(٣) سورة التوبة الآية: ١١٢.

(٤) سورة التحريم الآية: ٥.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري: (٢٨/١٦٥).

سبحاته نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي لو طلق أزواجه بدله بهن بأنها سائحات، وليست سياحتهن جهادا، ولا سفرا في طلب علم، ولا إدامة صيام، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والإجابة إليه وذكره (١). ١ هـ.

ثالثا: السياحة بمعنى السير في الأرض للاعتبار:

جاء الأمر بالسير في الأرض في مواطن عدة من القرآن الكريم (٢)، فمن ذلك:

١- قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)

(٣).

٢- قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٤).

٣- قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) (٥).

قال الزمخشري: فإن قلت: أي فرق بين قوله: {فانظروا}، وبين قوله {ثم انظروا} قلت: جعل النظر مسببا عن السير في قوله: {فانظروا} فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، وأما قوله: {سيروا في الأرض فانظروا} فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين. ونبه على ذلك بـ {ثم}، لتباعد ما بين الواجب والمباح. ١ هـ (٦) وبه قال البيضاوي (٧).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره لآية الأنعام عند قوله تعالى: (قل سيروا في الأرض): إنه يدل بعمومه على وجوب السياحة وإن جعل الزمخشري والبيضاوي الأمر فيه لإباحة.. نعم إن الخطاب في هذه الآية للمشركين المكذبين، وإن الغرض منها الدلالة على مصداق الآية التي قبلها الناقاة بما حل من عقاب الله بالساخرين من الرسل والمستهزئين بهم من قبلهم ولكن العبرة بعموم اللفظ دون السبب الخاص لنزوله والاحتجاج به... (٨). ١ هـ.

(١) بدائع التفسير لابن القيم: (٣٨ / ٢). وينظر حادي الأرواح ص ٧٥، ٧٦).

(٢) وردت في خمسة مواضع (بلفظ سيروا): ١- الأنعام: ١١، ٢- النمل: ٦٩، ٣- ١٠، ووردت بلفظ (فسيروا) في موضعين: ١- آل عمران: ١٣٧، ٢- النحل: ٣٦.

(٣) سورة الأنعام الآية: ١١.

(٤) سورة العنكبوت الآية: ٢٠.

(٥) سورة محمد الآية: ١٠.

(٦) الكشاف: (٨ / ٢) دار الريان للتراث، ط. الثالثة ١٤٠٧ هـ.

(٧) حاشية زادة على البيضاوي: (١٥٤ / ٢)، البيضاوي: هو أبو الخير ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي، إمام في التفسير والمنطق واللغة والفقه، له المنهاج وشرحه في الأصول، توفي سنة ٦٨٥ هـ. ينظر شذرات الذهب: (٦٨٥ / ٧) ومعجم المؤلفين: (٩٧ / ٦).

(٨) تفسير المنار: (٢٩٠ / ٨)، ومحمد رشيد: هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، توفي سنة ١٣٥٤ هـ. ينظر: الأعلام (١٢٦ / ٦).

والسير في الأرض للاعتبار على نوعين:

النوع الأول: السير في الأرض من أجل النظر في آثار الهالكين، وكيف كان عاقبة أمرهم نتيجة تكذيبهم لأنبياء الله ورسوله، وكفرهم بالله جل وعلا.

وهذا النوع قد أكثر القرآن الكريم من بيانه، ومن ذلك؛ قوله سبحانه:

١- قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أُعْنِيَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

٢- قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) (١).

النوع الثاني: السير في الأرض من أجل الوقوف على بديع صنع الله تعالى وكيفية بدء الخلق، لقياس النشأة الآخرة على الأولى، قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢).

يقول د: عبد العظيم خضر: أي سيروا في الأرض لتعرفوا تاريخها، وما تعاقب عليها من عصور جيولوجية مختلفة، فالإنسان لم يشهد خلق الأرض وتطورها، قال تعالى: (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ) (٣). ولذلك أمره الله بالسير في جنباتها ليرى كيف بدأ خلق الأرض وكيف تم ذلك في ستة أيام، وسمح الله جل وعلا له بالنظر في آثار مرسومة بدقة في الصخور... تحكي كيف بدء الخلق. ولن نستطيع معرفة بدء الخلق على الأرض إلا إذا توصلنا إلى العمر الزمني لها من خلال فحص صخورها بدقة... والآية الكريمة تدعونا بوضوح إلى النظر وليس النظر بالعين المجردة فقط هو المقصود، وإنما النظر بالعقل، والرياضيات، وبالعين المجردة، والعين المكبرة، وآلات الحفر، والرصد، والتحليل العملي، والكيميائي، والتحليل بالأشعة... كل ذلك تدعونا إليه الآية الكريمة توصلنا إلى بدء الخلق وتحديد العمر الزمني للأرض (٤). ا هـ.

(١) سورة محمد الآية: ١٠.

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٢٠.

(٣) سورة الكهف الآية: ٥١.

(٤) المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، للدكتور عبد العظيم عبد الرحمن خضر، الدار السعودية للنشر، ط. الثالثة ١٤٠٧ هـ، (ص ٣٣٠)، وما بعدها بتصريف، ولم أعتز له على ترجمة إلا ما وجدت على غلاف كتابه، وهو أنه رئيس قسم الجغرافية بكلية العلوم العربية الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم.

إن النظر في كيفية بدء الخلق علم قائمة بذاته، وبيانه في كتب الإعجاز العلمي، وهو يلقي اهتماما علميا كبيرا، وخاصة بين الدول المتقدمة علميا، يسر الله جل وعلا لها اكتشاف هذه الحقائق العلمية، لإقامة الحجّة على الناس: (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ)^(١)، وقال سبحانه (سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)^(٢).

ومن أجل أن يتحرر الإنسان من عبودية غير الله جل وعلا، فالسياحة بهذا المعنى لهي جديرة بأن يهتم بها العقلاء، من أجل زيادة الإيمان وترسيخه في النفوس، والدعوة إلى الله جل وعلا، فسيروا أيها العقلاء في الأرض للنظر والاعتبار، وإياكم وسير الغافلين الماجنين.

(١) سورة الأنفال الآية: ٤٢.

(٢) سورة فصلت الآية: ٥٢.

الفصل الرابع

أهمية السياحة في نشر الدعوة الإسلامية

تتبع أهمية السياحة في الإسلام من مقاصدها السامية العالية والتي يمكن إيجازها في الأمور التالية:-

أولاً: انتشار العلم الشرعي والعلوم المادية الأخرى، والتطبيقات على ذلك

كان محمد صلى الله عليه وسلم نبياً أمياً، لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)^(١)، وبعث صلى الله عليه وسلم في أمة أمية، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين»^(٣).

وكان أول ما نزل عليه من الوحي قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)^(٤)، فكان نزول هذه الآيات إيذاناً ببداية عهد العلم والهدى والنور، الذي استضاءت به البشرية جمعاء إلا من أبي.

وبسياحة جيوش الإسلام ودعاته في الأرض، انتشر هذا النور، «وتفرق علماء الصحابة في الأمصار الإسلامية، فقاموا فيها بحركة علمية، والتفت حولهم تلاميذ أخذوا العلم عنهم وأذاعوه بين الناس، ولم يكن جميع هؤلاء من العرب بل كان بينهم كثير من الموالي. وكانت عناية المسلمين في صدر الإسلام مقصورة على العلوم الدينية وهي القرآن وتفسيره والحديث وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الشرعية فيما يحد من مشكلات، وما يعرض من أحداث. ولذلك نلاحظ أن العلوم المتصلة بالدين قد انتشرت في عهد بني أمية، بخلاف ما كانت عليه الحال في أيام العباسيين الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية كالطب والفلسفة والرياضيات وغيرها»^(٥).

والحركة العلمية التي أحدثها الصحابة رضي الله عنهم في الأمصار التي تفرقوا فيها تفاوتت في منهجها بتفاوت هؤلاء الصحابة، وتأثر تلاميذهم بهم، وقد تمايز في هذا التفاوت منهجان.

(١) سورة العنكبوت الآية: ٤٨.

(٢) سورة الجمعة الآية: ٢.

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (٢/ ٢٣) كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تكتب ولا تحسب» رقم: (١٩١٣).

(٤) سورة العلق الآية: ١-٥.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: (٤٠٤/١) د. حسن إبراهيم حسن، دار الجيل بيروت، ط ١١٣، ١٤١١هـ.

الأول: منهج «أهل الرأي» أو مدرسة الكوفة.

الثاني: منهج «أهل الحديث» أو مدرسة المدينة بالحجاز^(١).

وانتهت رئاسة مدرسة الكوفة إلى ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وشريح القاضي، وأبي حنيفة، وانتهت رئاسة مدرسة المدينة إلى الإمام مالك^(٢).

وساح كثير من علماء الإسلام في الأرض بحثاً عن العلم الشرعي وتحصيله، ومنهم عبد الله بن المبارك، قال أحمد بن حنبل: «لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه؛ رحل إلى اليمن وإلى مصر وإلى الشام والبصرة والكوفة...^(٣) ١ هـ. وغيره كثير جداً.

وقبل ذلك ساح نبي الله موسى عليه السلام وفناه في طلب العلم، حيث التقيا بالخضر فقال له موسى كما حكى عنه ربه: (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا)^(٤)، وكان منهما ما كان، وقصتهما مذكورة في القرآن والسنة.

وفي زماننا هذا تقوم جامعات إسلامية ككلية الشريعة بالكويت وجامعات المملكة العربية السعودية، بإعطاء المنح الدراسية لكثير من الطلبة المسلمين في البلد الإسلامية؛ ليتعلموا ويرجعوا إلى أوطانهم فينشروا العلم الشرعي بين أهلها، نسأل الله أن يكثر من هذه المنح، فالأمة بحاجة ماسة إلى أضعاف أضعاف هذه الجهود المبذولة، فقد كثر الجهل وتكالب الأعداء من كل حذب وصوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبالنسبة للعلوم المادية، فإنه لا يخفى أن السبب الرئيسي فيما تجمع لدى المسلمين في أيام عزهم وتمكينهم في الأرض من علوم مادية يرجع إلى سياحة جيوشهم في الأرض؛ ذلك أنهم وقفوا على علوم الأولين من آشوريين، وبابليين، ومصريين، وفرس، وهنود، ويونان، فقاموا بترجمة كتبهم إلى اللغة العربية، وكان خلفاء المسلمين يرسلون أحياناً العلماء إلى أعدائهم الروم؛ ليشتروا منهم الكتب العلمية اليونانية، ولقد عكف علماء العرب والمسلمين خمسين عاماً يترجمون، ثم انكبوا على التصنيف والابتكار، وإليهم يعود الفضل بعد الله جل وعلا في تقديم كثير من الاكتشافات العلمية للبشرية^(٥).

ولقد تتلمذ الغرب على أيدي علماء المسلمين فترة من الزمن، وقام فردريك الثاني في عام ٦١٢ هـ بتأسيس جامعة نابولي لترجمة العلوم العربية إلى اللغة اللاتينية، ونشرت في جميع أجزاء أوروبا... وبقيت جامعات فرنسا وإنجلترا وإيطاليا تعتمد على المراجع العربية إلى ما بعد النهضة الأوروبية الكبرى^(٦).

(١) تاريخ التشريع الإسلامي لمناع القطان: (ص ٢٢٥)، مؤسسة الرسالة، ط ٢٦، ١٤١٩ هـ.

(٢) تاريخ الفقه الإسلامي لعمر الأشقر: (ص ٨٦، ٨٧)، دار النفائس، ط ٣، ١٤١٣ هـ.

(٣) الرحلة في طلب الحديث: (ص ٩١)، للخطيب البغدادي.

(٤) سورة الكهف الآية: ٦٦.

(٥) ينظر: روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم: (ص ٢٤، ٢٥، ٢٦)، د. علي بن عبد الله الدفاع، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤١٨ هـ.

(٦) روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم: (ص ٢٨).

ثانياً: انتشار دين الله تعالى

السياحة سبب رئيسي من أسباب انتشار دين الله تعالى في الأرض، فلو أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم أهل جزيرة العرب، لم يرسل إلى أهل زمانه، ولم تخرج الجيوش والدعاة، فهل كان بالإمكان أن ينتشر دين الله تعالى في الأرض؟

ورسالة الإسلام عامة للناس جميعاً، قال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (١)، ولن يقبل الله جل وعلا من الناس إلا الإسلام فقال سبحانه: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢)، ولما كان الملأ من كل قوم يقفون حاجزاً بين الناس وما يختارون لأنفسهم؛ لأنه (لا إكراه في الدين) (٣)، فسقطت عروش الفرس والروم، وفتحت الهند والسند، وانتشرت الفتوحات الإسلامية، وانتشر دين الله تعالى بين الناس، لما رأوا من عدل الإسلام ونوره ونظامه الرباني العظيم.

والسياحة في الأرض لا تقتصر على الداعين، بل جدنا في التاريخ أناسا يسيحون في الأرض يبحثون عن الدين الحق، يلقون في سبيل ذلك المتاعب والمصاعب والمشاق واحدة بعد الأخرى، وهم صابرون، مما جعل لسياحتهم هدف سام، يتفق وحقيقة وجودهم في هذه الأرض فإن الله جل وعلا خلق الناس لعبادته، وهو مبتليهم في هذه الدنيا بالسراء والضراء؛ لينظر كيف يعملون؟ والسياحة في الغالب لا تكون إلا عن اقتدار مادي لتكاليف السفر، فهل يعي الأغنياء هذه الحقيقة؟

ثم أين المسلمون اليوم عن العالم؟ ! لم لا يسيحون في الأرض، لبيان الدين الحق للناس. فهم أحوج ما يكونون اليوم إليهم؛ لكشف الغشاوة التي أحدثتها الحضارة المادية المعاصرة على العيون، فظن المنهزم أن سبب تأخرنا التقني هو في تعاليم ديننا، أنسينا أن الله جل وعلا وصف الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس، وسبب هذه الخيرية ثلاثة أمور: إيمانها بالله، وأمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، فقال سبحانه: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (٤)، أيعقل أن يخرج المسلمون للسياحة في بلاد الكفر والفسق، لمشاهدة مدن الألعاب أو للنزهة، ويتركوا مهمتهم الأولى التي انتدبهم الله لها؟ فإننا أمة ابتعثنا الله لإخراج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ثالثاً: ازدهار التجارة والتطبيقات على ذلك

مهد الله جل وعلا الأرض، وجعلها موطأة للعيش، فحث على السياحة لطلب الرزق والمنافع، فقال سبحانه: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ نُلُولًا فَاْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا

(١) سورة سبأ الآية: ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية: ٨٥ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية: ١١٠ .

وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ^(١)، قال ابن كثير: أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وتروا في أقاليمها، وأرجانها في أنواع المكاسب والتجارات..^(٢) ١ هـ.

وشهد الله جلا وعلا أن في السياحة منافع، فقال لخليله إبراهيم عليه السلام: (وَأَدْنَى فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ)^(٣)، قال ابن كثير: قال ابن عباس: منافع الدنيا والآخرة. أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبابح والتجارات..^(٤) ١ هـ.

ولقد امتن الله جل وعلا على قريش بأن أطعمهم من جوع وجعلهم آمنين في حرمة، ويسر لهم السياحة للتجارة في فصل الصيف إلى الشام، وفي فصل الشتاء إلى اليمن، فقال سبحانه: (لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)^(٥).

ولقد ساح رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة إلى الشام في تجارة المدينة لخديجة رضي الله عنها وجاء بضعف ما كانت تكسب في تجارتها^(٦).

وسياحة التجار في زماننا ليست كسياحة الأوائل، الذين كانوا يرحلون على الإبل والبغال والحمير. فتطور وسائل المواصلات جعل التجار يسبحون في العالم كله في مدة قصيرة جدا، وينقلون كميات كبيرة من المنتجات الصناعية، والزراعية وغيرها، فصار الناس يأكلون فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء فازدهرت التجارة، وصار أصحاب المصانع، والمزارع يجدون لمنتجاتهم أسواقا في شرق العالم وغربه، وشماله وجنوبه، وصار كثير من الناس في رغد من العيش نتيجة ذلك.

والسياحة لا يقوم بها إلا الأغنياء في الأعم الأغلب، فكان بداهة أن تزدهر التجارة أينما حلوا، ونسبة الازدهار تعتمد على مدة بقائهم في البلد المزار، وحجم إنفاقهم فيه، فقد «بلغ عائدات السياحة في العالم نحو ٥٣٢ مليار دولار عام ١٩٩٨ م، وهذا الرقم يفوق صادرات الغذاء في العالم، والتي لم تتجاوز ٤٤٣ مليار دولار، وأن عدد السياح بلغ عام ١٩٩٩ م ٦٥٧ مليون سائح»^(٧)، «وفي عام ١٩٨٦ م ازداد دخل السياحة العالمية على إيرادات النفط، ويقدر عدد السائحين الخليجيين سنويا بأكثر من خمسة ملايين سائح، السعوديين منهم ٣,٥ مليون سائح يصرفون أكثر من ٥٠ مليار ريال سنويا»^(٨).

(١) سورة الملك الآية: ١٥.

(٢) تفسير ابن كثير: (٤ / ٤٢٤).

(٣) سورة الحج الآية: ٢٧ - ٢٨.

(٤) تفسير ابن كثير: (٣ / ٢٢٦).

(٥) سورة قريش الآية: ١ - ٤.

(٦) السيرة لابن هشام: (١ / ١٣٦)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ هـ.

(٧) مجلة الشقائق العدد السادس والأربعون، ربيع الآخر ١٤٢٢ هـ (مجلة شهرية جامعة).

(٨) ينظر: المرجع السابق.

ومعلوم أن الشارع الحكيم يحث على السير في الأرض، للاعتبار ولطلب الرزق والتكسب، ولك مباح من علاج وطلب علم أو استطلاع ونحوه، بما لا يخل بتعاليم ديننا الحنيف، إلا أنه لا بد من التذكير بما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: « لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»^(١)، وفي الحقيقة فإن السياحة لا تؤدي إلى ازدهار التجارة فقط، بل تؤدي إلى ازدهار كثير من القطاعات الاقتصادية كالخدمات الفندقية، والنقل، والاتصالات وغيرها.

أهمية السياحة في نشر الدعوة الإسلامية

رابعا: تعتبر وسيلة من وسائل التربية العقدية الروحية من خلال السفر والخلوة والتأمل في خلق السماوات والأرض وما خلق الله سبحانه وتعالى من عجائب، فعندما يخرج السائح ويرى المناظر الطبيعية العظيمة يستحضر عظمة الله بأنه الخالق المبدئ، ويقول: سبحان الله، سبحان الله العظيم سبحان الله الخالق المبدع، ولقد أمرنا الله بذلك فقال: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)^(٢) تعتبر السياحة في الإسلام من أفضل وسائل التعارف بين الناس، وإفشاء السلام والأمن ونشر دعوة ودين الله عز وجل، وهذا يعتبر من الواجبات الدينية، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(٣).

خامسا: كما تعتبر السياحة من موجبات أداء الفرائض والواجبات الإسلامية، ومنها الحج، فعلى سبيل المثال يسيح المسلمون من جميع بقاع العالم إلى البلاد المقدسة المباركة للحج يشهدوا منافع لهم وهذا يعتبر من أصول السياحة في الإسلام، ولقد أمرنا الله بذلك فقال: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٤).

سادسا: وبدون السياحة يصعب تبليغ دعوة الله إلى الناس، وتحفيزهم على اعتناق هذا الدين وكانت هذه من أهم وسائل سياحة سفراء الإسلام الأوائل الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا تغطي التحسينات والكماليات على الضروريات

(١) أخرجه الترمذي (التحفة |: ٨٥/٧) أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص رقم: (٢٥٣٢)، عن أبي بردة، وقال: حسن صحيح، والدارمي واللفظ له: (١٤٢/١) المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة رقم: (٥٤٣) عن معاذ بن جبل والحديث يروى من غيرهما من الصحابة كذلك.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩١ .

(٣) سورة الحجرات الآية: ١٣ .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٩٦ .

والحاجيات، فلا يجوز للمسلم أن يقوم برحلة سياحية وليس عنده ما يكفيه من الضروريات والحاجيات، ولا يجوز للمسلم أن يقتر، للسياحة حيث يقول الفقهاء: (لا اقتراض إلا لضرورة معتدة شرعا)، ولا يجوز للمسلم أن يسرف ويبذر في النفقات السياحية وهو مصر أو مثقل بالديون.

سابعاً: الإتقان والإحسان في أداء العمل السياحي من قبل شركات السياحة ليكون ذلك تعبيراً صادقاً عن الإسلام، وحتى ينظر إلى المسلم أنه رائد وقائد وحضاري يحتذى به، ولا يجوز الإهمال والتقصير والتعدي على حقوق السائح أو ابتزاز ماله أو التغرير به أو التدليس عليه، ولقد وصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «إن الله يحب من أحكم إن عمل عملاً أن يتقنه»^(١).

ثامناً: المحافظة على الفرائض والواجبات المشروعة: فلا يجوز أن تؤدي السياحة الترفيهية إلى تعطيل المسلم عن القيام بفريضة من فرائض الإسلام أو ضياع واجب ديني، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبط وتنظيم الأوقات والأعمال فقال: «إن لنفسك عليك حقا، وإن لجسدك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا فاعد كل ذي حق حقه»^(٢).

الآثار السلبية للسياحة في الإسلام

أهم هذه الآثار:

التأثر بعادات وسلوكيات الغرب:

اعتنى الإسلام بشخصية المسلم، فصاغه صياغة متميزة ومستقلة، عن اليهود والنصارى والمشركين، فأمره بمخالفتهم، وعدم اتباعهم، بل وعدم مشابهتهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(٣).

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجه عديدة، لمخالفة أهل الكتاب والمشركين، فمن ذلك.

١- الأمر بإعفاء اللحية، مخالفة للمشركين، فقال: «خالفوا المشركين، وفرّوا اللحى واحفوا الشوارب»^(٤).

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٦٨، ٨٩، ٨٩، ١٢٤ بأرقام ٥١١٥/٦٦٧، ٥١١٦/٦٦٨، ٥٦٦١/١٢١٣. وأبو داود ٤٣/٤ كتاب اللباس، باب لباس الشهرة برقم ٤٠٣١. رواه أحمد مطولا، وأبو داود مختصرا واللفظ له، عن ابن عمر.

(٤) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (٤/٧٣)، كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر رقم: (٥٨٩٢).

٢- الأمر بصيغ اللحية مخالفة اليهود والنصارى، فقال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»^(١).

٣- الأمر بالصلاة في النعال والخفاف، مخالفة لليهود، فقال: «خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم»^(٢).

وغيرها من الأحاديث التي تأمر بمخالفتهم حتى أن اليهود عندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن فعلهم: أنهم كانوا إذا حاضت المرأة لم يواكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت فقال: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفه فيه»^(٣).

ولكن هذه الشخصية التي حرص الإسلام على تمييزها، وأن لا تتبع غيرها من الأمم، تعرض لتأثيرات مريضة من قبل الغرب، في سلوكها وعاداتها وثوابتها، حتى فقد الكثير بالفعل هويتهم الإسلامية، وبعضهم يتأرجح بين تعاليم الإسلام وغيره من المذاهب والمعتقدات الأخرى، ويرجع ذلك إلى أمور منها:

١- تفشي الجهل بين المسلمين في دينهم وتشوه البدع والخرافات بينهم.

٢- تخلف المسلمين في العلوم المادية في الأزمان المتأخرة، وتقدم أعدائهم، فهزموا أمام عدوهم، ووقعوا تحت حكمه مدة من الزمن، فنحيت الشريعة، وحكمت القوانين الوضعية، ونشر الفساد.

٣- ونشأ عن الجهل وتفشي البدع والخرافات، والتخلف في العلوم المادية، والهزيمة العسكرية، هزيمة داخلية نفسية، هي أخطر من الهزيمة على أرض المعركة، فصار المسلمون ينظرون إلى عدوهم بإعجاب، ويتلقون عنه، ويقلدونه في كل شيء تقريبا، يقول ابن خلدون: إن المغلوب مولع أبدا بالاقداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته، وسائر أحواله وعوانده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها، وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب...»^(٤). ا هـ (٤)، وهذا ما تعاني من الأمة اليوم.

وظاهرة السياحة في هذا العصر في بعض جوانبها، ما هي إلى استكمال لمسلسل الغزو الفكري، الذي ابتليت به الأمة، فسياحة الإعلام في عقول الأمة إن كانت لكافية، فيكيف إذا ساح الشباب المسلم - المعجب بهم أصلا - بينهم وخالطهم؟ أو كيف إذا ساح أهل الغرب بين أظهر المسلمين؟

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة: (٤٩٣/٢)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: (٣٤٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود عن شداد بن أوس: (١٧٣/١)، كتاب الصلاة في النعل رقم (٦٥٢).

(٣) أخرجه مسلم عن أنس: (٢٤٦ / ١)، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله رقم: (٣٠٢).

(٤) مقدمة ابن خلدون: (٢ ١٤٧) الفصل الثالث والعشرون، دار الفكر.

ونموذج لمظهر من مظاهر التأثير بهم، ما نشاهده من ارتداء شباب الأمة لزي أهل الغرب، مرسوم عليه أعلام الدول الأجنبية، وكتابات بغير العربية، لعبارات سوقية، وسماع لأصوات الموسيقى تصدح في سيارتهم بأصوات عالية جدا.

وأما بالنسبة للنساء فحدث ولا حرج، تبرج وسفور، وقصات شعر، وموضات، تشبها بالأجنبيات، وملابس ينطبق على لايساتها قوله صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما... ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

فيا للعجب من أناس تركوا الاقتداء بنبيهم صلى الله عليه وسلم والأخذ بما أمرهم به، وأخذوا بسلوكيات، وعادات الغرب، من الملابس والمأكّل والمشرب وغير ذلك، وهذا لعمرى أمر خطير لو كانوا يفقهون.

قال ابن تيمية: إن المشاركة في عهدي الظاهر^(٢) تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس.

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة: (٣ / ١٦٨٠)، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، رقم: (٢١٢٨).

(٢) الهدى الظاهر: هو ما يقال عن سلوك الإنسان وشكله، ويحسنه من حوله، من أنماط السلوك والتصرفات القولية والعملية، كالأكل والشرب، والكلام، والملابس، والتعامل مع الآخرين، وممارسة الحيل العلمية، والتعبير عنها. أما الهدى الباطن: فهو ما يدرك بالحواس: من النوايا والاعتقادات والأفكار ونحوها. ما لم يعبر عنها بقول أو فعل. (حاشية اقتضاء الصراط المستقيم: (٧٩/١)).

مصادر ومراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الأحاديث النبوية من خلال كتب السنة.

- ١- ابن كثير، قصص الأنبياء، دار الباز للنشر والتوزيع - بدون سنة.
- ٢- ابن هشام، السيرة: (١ / ١٣٦)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠ هـ.
- ٣- النووي، رياض الصابرين، دار أخبار الكتب العربية.
- ٤- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: (٤٠٤ / ١) دار الجيل بيروت.
- ٥- سيد قطب، في ظلال القرآن دار الشروق عام ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م - ص ١٧١٩.
- ٦- عبد العليم عبد الرحمن خضر، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، الدار السعودية للنشر، ط.
- ٧- علي بن عبد الله الدفاع، روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم: مؤسسة الرسالة ط١، ١٤١٨ هـ.
- ٨- عمر الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي (ص ٨٦، ٨٧)، دار النفائس.
- ٩- مجلة الشقائق العدد السادس والأربعون، ربيع الآخر ١٤٢٢ هـ (مجلة شهرية جامعة).
- ١٠- محمد بن مفرح بن شبلي القحطاني وصاحبيه، السياحة الأسس والمفاهيم دراسة تطبيقية على منطقة عسير، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، ط. مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم) بجدة.
- ١١- محمد خميس الزوكة، صناعة السياحة، ١٩٩٧ م، دار المعرفة الجامعية.
- ١٢- محمد متولي الشعراوي «القصص القرآني في سورة الكهف» مؤسسة أخبار اليوم سنة ١٩٩٠.
- ١٣- مصطفى الفقي «الإسلام في متغير». الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣.
- ١٤- مقدمة ابن خلدون: (٢ / ١٤٧) الفصل الثالث والعشرون، دار الفكر.
- ١٥- مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي (ص ٢٢٥)، مؤسسة الرسالة.
- ١٦- يوسف القرزاوي «الحلال والحرام في الإسلام»، دار القرآن الكريم للطلبان سنة ١٧٩ هـ.